الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

تشرينان

جمعت الاساطير والامثال اللبنانية بين شهري تشرين كما جمعتْ بين شهري كانون ، لذلك آثرتُ الكلام عن التشرينين في فصلٍ واحد ، كما تكلمت عن الكانونين :

تشرين من « تشرينو » الكلدانية التي معناها « الابتداء » ، سمي بها تشرين الاول بداءةً ، لانه كان مطلع السنة او ابتداءها . يقابل تشرين الاول من الاشهر الافرنجية « اوكتوبر » . كان الرومان يحتفلون فيه بعيد آلهة الخمور والحقول والرعاة لانه الزمن الذي يتم فيه استخراج الخمر وتُسمَن الماشية ويباشر الفلاح الزرع في الارض ، وكان يرمز اليه بصورة صيّاد عند قدميه ارنب وفوق رأسه عصافير ، والى جانبه دنّ خمر ، اشارةً الى ما يتمّ فيه من الصيد وقطف العنب وصنع الخمور .

اما تشرين الثاني فيقابله من الاشهر الافرنجية « نوفمبر » ، فيه تدخل الشمس برج « الرامي » وهو متوسط الخريف ويسميه الانكليز شهر الرياح ، وكان الرومان يدعونهُ شهر بداءة الشتاء ، وقد خصّوه بعبودتهم « ديانا » ومثّلوه بهيئة كاهن للاله ايزيس

. . . .

وفي لبنان تتدرّج الطبيعة في هذين الشهرين من الصيف الى الشتاء ، فتبدأ رويدًا رويدًا بخلع محاسن الصيف وبهارجه والظهور باكفهرارها الباعث على الانقباض والوحشة ، وكلما مضى منهما يوم قرب الشتاء والطقس البارد ، ويشتدّ البرد عادةً في طرفي النهار والناس لم يتعودوه بعد فينالهم منه ضرر ، لذلك قالوا : « برد التشارين ، بيهرّ المصارين »

وقد تكثر بسبب هذا البرد النزلات الوافدة والزكامات والالتهابات الصدرية مما يوجب الانتباه والتوقي ، وقد قالت العامة في ذلك : « برد التشارين توقّاه ، وبرد الربيع تلقّاه »

وفي المناطق العالية يبقى من الغلال والثمار ما يستغلّ في التشرينين ولاسيما العنب الزحلاوي ، ويقال في تلك الانحاء : « في تشرين ، ودّع العنب والتين ». ولكن الوسائط التي اتخذوا اليوم يستعملونها لحفظ العنب من اضرار المطر والبرد قد تبقيه الى شهري كانون.

وقد يحدث في التشرينين ، رغم ما قدّمناه عن تقلّص ظلّ الصيف وظهور الشيب في هام الطبيعة ، ان يطول الصحو وتتوالى الايام الجميلة حتى لقد يظن المرء نفسه في صيف جديد ، وقد قالوا في ذلك : « ما بين تشرين وتشرين صيف ثانٍ »

وفي التشرينين تشحّ الينابيع والانهار اطول عهد الصحو حتى تكاد تنضب ولكن الماء يطيب لما يمازجه من برودة ، وقد اعربوا عن ذلك بقولهم : « اللي ما شبع من العنب والتين ، يشبع من ماء التشارين »

ويواصل الفلاحون اللبنانيون من مطلع تشرين الاول استعداداتهم التي يكونون بدأوا بها من ايلول لمباشرة الحراثة فيجدّدون سككهم ومعاولهم ويُعدّون الانيار والمحاريث والبذار من مختلف الحبوب والعلف لماشيتهم وغير ذلك من المعدات التي يحتاجون اليها في مهامهم الزراعية ، ويستدأون على قرب وقوع الشتاء وارتواء الارض بظهور زهرة بيضاء جميلة المنظر سريعة الذبول تظهر عادةً في تشرين الاول تسمى باصطلاحهم « الوَحْوَاح » فاذا رأوها هتفوا قائلين : « هيْ بركك يا فلاح ، طلع الوَحْوَاح » ، وفي التشرينين « يشحّلون » التين بعد انتزاع ورقه وحفظه علفاً للماشية ويقولون في ذلك : « شحالة التين ، في التشارين ».

وفي تشرين الثاني تموت الهوامّ والحشرات وتختفي الدبابات والزحافات والافاعي لقرب هجوم المطر ، ويقولون في ذلك : « جاء تشرين الثاني ، وما عدنا نشوف لا حيّة ولا برغشة ولا دبّانه »

وفي آخر تشرين الثاني تقصر الايام قصراً عظيماً ، وفيها يستقطر الزيت ، ويسميها اللبنانيون : « نهارات الزيت ، اصبحت امسيت » ويقولون ايضاً : « بنهارات الزيت ، بالكاد المرأة الشاطرة تطبخ وتكنس البيت » اي ان هذه النهارات تمرّ سراعاً فلا يكاد الصبح يطلع حتى يهجم المساء.

ولهم في استخراج الزيت عبارات اصطلاحية تدلهم على الطريقة الفضلى فيه ، من هذه العبارات قولهم : « ن عفّن زيتونك في بيتك ، حدّحد زيتك » اي صار طعمه حريفاً

ومنها : « حوّش ورصّ ، مشّق وسبّح » ومعناه : « الزيتون المقطوف باليد اصلحه «مسبّحاً» اي معقّماً بالماء والملح ، والمنتثر تحت الاشجار استعمله «مرصوصاً».

ومنها : « مسبّح السقي ، ومرصوص البعل » ومعناه : الزيتون البعل اصلح « للرصّ » والزيتون السقي اصلح « للتسبيح »

ولهم ايضاً عبارات مثل هذه يرددونها في استقطار العرق ، منها قولهم : « كلما زاد حلو عنبك ، زاد قطر خمرك » و« كلما حلت الثمرة ، طابت الخمرة» اي ان العنب الناضج اصلح للخمر من غير الناضج واغزر عائدة .

ومنها : « متى صرت تشوف وجهك بالدغار قيم على النار» اي اترك العنب المنقوع للعرق ريثما يصفو كالمرآة ثم انقله الى الانبيق واستخرجه

ومنها : « نار العرق لحية سراج ، وحاج » اي استقطر العرق على نار خفيفة كضوء السراج.

ويتخوفون من المرض في التشرينين لان الاجسام تقبل بعدهما على ايام البرد فلا تستعيد عافيتها بسهولة ، ويقولون : « اذا مرضت في تشرين ، لا تشفى حتى تجري الدموية ، في الربيعية ».

وفي اواخر تشرين الاول تصاد السمانى وانواع العصافير والطيور . والصيادون في لبنان قسمان :

الاولون الغواة او الهواة الذين يقدمون على الصيد اجابةً لميل مركب فيهم يجدون باتباعه مسرةً ولذة ، والآخرون يتبعون ذلك قصد الربح من بيع ما يصطادون ، وهذا لا ينفي ان يكونوا من الغواة الهواة ايضاً ولكن اهل

البلاد تعودوا الهزء بمن اتخذ الصيد مهنةً للتعيش لانهم وجدوها من المهن القليلة الربح ، وقد قالوا في ذلك: «قطّاع الهيش، ونتّاف الريش» لا يحمد امرهما ولا ينجحان ، ويريدون بقطّاع الهيش الحطّاب ، والحطّاب عادةً يكون كالصياد فقيرًا صعلوكاً سُدّت في وجهه ابواب الرزق فاضطر الى الالتجاء الى هذه المهنة التي لا تسدّ رمقاً رغم ما تقتضيه من الاتعاب والجري في البراري.

وللبنانيين روايات يتسامرون بها عن الحطّابين منها الرواية التالية :

قيل ان حطّاباً كان يجمع حطباً ذات يوم فمرّ به امير كان يتصيد واذ رأى ما يكابده من العناء في مهنته رقّ له وسأله عن مقدار ربحه كل يوم قال : اطال الله بقاء سيدي الامير ، اني اربح كل يوم من عملي مالًا اعيش بقسم منه ، واني بقسم آخر بعض ديني ، وادين منه القسم الثالث ، والقسم الرابع ارميه في البحر . فتعجب الامير من جوابه وسأله ايضاح ذلك . قال الحطاب: اعلم ايها الامير اني اربح كل يوم اربعة غروش ، اعيش بواحد منها وانفق واحدًا على والديّ وفاء لما انا مدين به اليهما من حق التربية ، وواحدًا على اولادي الذكور فادينهم اياه على امل استيفائه منهم متى كبروا وعجزت ، وواحدًا على اولادي الاناث وهو الذي قلت اني ارميه في البحر لاني لست اعلم ماذا سيكون من امر بناتي هؤلاء بعد زواجهنّ وهل يكنّ بارّات بي فيعينني ديني ام لا. فأعجب الامير بجواب هذا الحطاب الذكي واجازه.

وفي اول مطرة من تشرين تروى الارض فيظهر البزاق ويسميه اللبنانيون «المرينات» او «البرينات» واحدتها مرينة ، ويدور اولادهم في البراري يجمعونها وهم ينشدون: «يا مرينة يا مرون ، اطلعي لي باربع قرون ، باعت السلطان بيقرل بده مرينة زغيّره ، قدّ راس السلطون.»

واللبنانيون لا يأكلون جميعاً البزاق،فان فريقاً منهم يعافهُ ويتقزز منه،وآخر يستطيبه ويستمرئهُ ولا سيما على موائد الشراب ، ومنهم من يمتهن التقاطه وعرضه للبيع في اسواق المدن فيصيب منه ربحاً.

انتهى